كتبها Administrator
الثلاثاء, 25 نوفمبر 2014 15:42 -

[وقال محاورا أبا العلاء المعرى] وهى من روائعه :

يـحـــاورنى فى سجنـــــه ، وأحـــاوره

وهل يعدم الأعمى صديقا يســـــامره

وأى عمى هـــذا الذى كـــــان كـاشفـــا

مفـتحة أبـــــــصاره ، وبـــــصائـــــــره

تـــأمل فـــى الدنيـــا ، فأدرك ســـــرها

وكل خبـــــ ء ، لا تـــــدوم ســـرائـــــره

ووازن أفـــعال الرجـــال ، فلم تـــكن

سوى عبث ، والملهو تعشى مظاهره [1]

وشـــاهد فى بغداد ســـوقـا عـجـيـبـــة

بـــــها الشعــر يشـــــرى جلده وأظافره

فـعـــاد إلى أرض المـعـــرة نـافـــضـــــا

رغـــــائبــه ، والقلب تدمى مشـــاعره

ولازم بـيـتـا صـــار سـجـنـا محبـبـــــا

تـــــحيـــــط بـــــه أفـــكاره وخواطـــــره

إذا زاره ظـــــــام إلى بـعـض عـلـــــمـه

أفـــاضت عليـــــه سحبـــه وقنـــــاطره

وإن لـــم يـزره .. طار للأمس عاليـــا

يحـــدث مـــــن يهفـــو لـه ، وينـاظره

تشكلت (الغفران) من فيـض لمحه

سـمـــاوية ، غنت عليـــــها مزاهـــره

وحـــــاول أن يـعطى الجميـــع دلالـــــة

بـــأن حصـــــان الشعـــر يخلد قـاهـــره

أقـــــول لـــــــه : لـكـن ليـــــلك دائـــــم

يـــقول : وهـــل للفجر باب أبـادره ؟!

أقـول : وخفق المحب ؟ يسكت ساعة

وتســـبح فى صمت المكان مبـــــاخره

إذا كنت لـــم أسمع صداه ، فصـوتـــه

تـــــزلـــزلـــنى فـى كل وقـت أوامـــــره

هـفـــوت إليـــه ، غيـــر أنى حرمتـــــه

وهل يصدح المحروم والمجوع كاسره

أقـــول : وإهـــدار الدأبـــــوة ؟ لا يـــرى

بـذلك عيبـــا ، فالعيـــوب تحاصره [2]

أقـــول : وهـذا الشك ؟ يسرع قائـلا :

وأى فـــــؤاد تستـــــقـــر خـــــــواطـــــره

إذا كـــــان إيـــــمان العـــــوام دجـاجـة

فـــإن يقينى ليـــــس تهـــــدا كواســـره

أقـــــول : لقد ألزمـــت نـفسك بـــــالذى

ترخص ، والإنـــسان يعجز طائره [3]

يـجيب بـــأن الشعـــر لا يـمـنـــــح الذى

يـــظل على شـــــط النـجـــاة يـــــداوره

ولكنه يعطى لمن خـــاض فـى الأسى

وأوغـــل فى الآلام ، والمـــوج عاصره

أقــول : لقد حيـــرت مــن رام فهـــمكم

يقول : أنـــا الحيران ، ضلت ذواظره

لقد عشت لا أدرى ، فماذا يضيركم ؟

أنـــا الليـــــل مســـدول عليـــه ستائره

تغربت عن عصرى ، وما كنت ذادما

وقد يهلك العطشان ، والماء حاضره

إذا كان بعض الناس أغلى بضاعتى

فما كان قصدى أن تزيد خسائره ! [4]

(1) فى س : مناظرة

(2) المقصود بإهدار الأبوة : عدم إقباله على الزواج ، حتى لا ينجب أطفالا يتعذبون مثله ، والإشارة هنا إلى بيته الشهير : هذا جناه أبى على وما جنيت على أحد

(3) الإشارة هنا إلى طريقة (لزوم ما لا يلزم) التى اتبعها المعرى فى ديوانه الكبير اللزوميات .

(4) تحسم خاتمة هذه القصيدة الجدل الدائر حول المعنى الحقيقى لأشعار المعرى المحيرة ، فضلا عن أنها تلقى الضوء على ما كان يتمتع به النباحى من مقدرة على الغوص فى نفسيات شعراء العرب الكبار .